2. العمارة الأغلبية:

ظلت بلاد المغرب تابعة للخلافة الأموية في دمشق، وعندما قامت الدولة العباسية، وانقسمت هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام وهي المغرب الأدنى ويشمل ليبيا وطرابلس الغرب، والمغرب الأوسط ويشمل إفريقية "تونس" والجزائر، والمغرب الأقصى ويشمل مراكش المغرب، كما حدثت في هذه الفترة حركات استقلالية عن الدولة العباسية فقامت الدولة الأغلبية سنة 185هـ/800م كما استطاعوا ضم صقلية ومالطة وسردينية إلى ملكهم وكانت تبعيتهم اسمية فقط لدار الخلافة، تداول عليها 11 أميرا وتميزت فترة حكمهم بهدوء ملحوظ، كما خلفوا مدنا ومبان مهمة.

خريطة رقم 01: خريطة الدولة الأغلبية 800-909م

الصور رقم 01: مدينة صفاقس وتحصيناتها

* المسجد الجامع بالقيروان:

في سنة ***221هـ/836م*** قام زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب وبعد أن تولى الإمارة الإفريقية بهدم أجزاء كثيرة من الجامع دون أ يغير كثيرا من نظامه أو أن يبدل من حدوده، وأعاد بنائه، ويذكر البكري أنه كان يعتزم هدم المحراب الذي بناه عقبة، وإقامة محراب بدلا منه، لأنه كان يريد ألا يرى بالمسجد أثر لغيره، ولكن الناس نصحوه بالإبقاء على محراب عقبة، وأشاروا عليه بوضعه بين حائطين حتى لا يرى من داخل المسجد أثر لغيره، فاستحسن ذلك ففعل ولم يمسسه بسوء.

بنى المحراب الجديد المجوف الحالي وقد كانت تكسوه بلاطات رخامية بيضاء مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية، كما هدم بلاطة بشر بن صفوان **9** و **10** وأقام مكانهما بلاطا واحدا أوسطا أكثر اتساعا وارتفاعا **(مجاز قاطع)** فأصبح المسجد مكونا من **17** بلاطة متعامدة مع جدار القبلة، يقطعها 03 بائكات من العقود تمتد موازية لجدار القبلة، ويمكن تفسير كلام المؤرخين بأن زيادة الله هدم الجامع كله، بأنه هدم أسقف الجامع وأقامها من جديد، بعد أن رفعها عما كانت عليه.

بنى إلى جانب ذلك قبة على أسطوان المحراب، زخارفها على نمط زخارف اللوحات الرخامية التي كسا بها المحراب الجديد، وهي أقدم قبة في العمارة الإسلامية ببلاد المغرب، أما أسوار الجامع ومحرابه وأعمدته فظلت كما كانت عليه أيام بشر بن صفوان.

يبدوا أن زيادة الله قد أنفق أموالا كثيرة، وزود الجامع بصورته الأخيرة التي نراها في يومنا هذا، كما أنه هو من وضع للأروقة نظامها الفريد الذي يشف عن أصالة وابتكار، كما أن هناك أراء ترى أن الصومعة الموجودة حاليا من أعمال زيادة الله بن الأغلب.

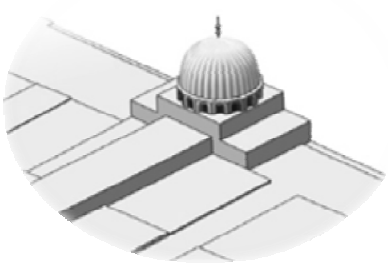

الشكل رقم 01: القبة التي تعلو المحراب

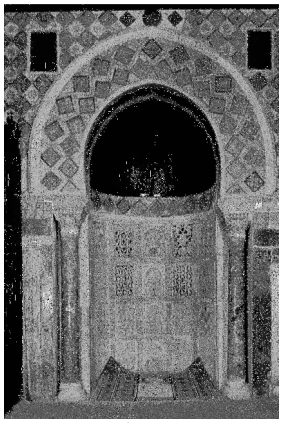

الصورة رقم 02: محراب جامع القيروان

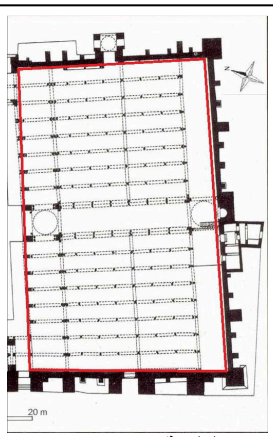

المخطط رقم 01: بيت صلاة الجامع و البلاطات المضافة

في سنة **249هـ/863م** قام **أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب** (242-249هـ) بعدة إصلاحات، فقام بزخرفة المحراب ببلاطات الرخام وزخرف قبة المحراب، وإضافة بلاطات القاشاني حول المحراب وهي 139 بلاطة موضوعة بشكل مائل، وهي تعد أقدم مثال باق لاستخدام البلاطات في زخرفة جدران العمائر الإسلامية، إلى جانب ذلك وضع المنبر المصنوع من خشب الساج، والمشتمل على زخارف نباتية محفورة من أوراق العنب، وكيزان الصنوبر، موضوعة داخل أشكال هندسية، وهو أقدم منبر باق في العمارة الإسلامية وتذرك المصادر أن البلاطات وخشب الساج استوردا من بغداد.

الصورة رقم 03: زخارف منبر جامع القيروان

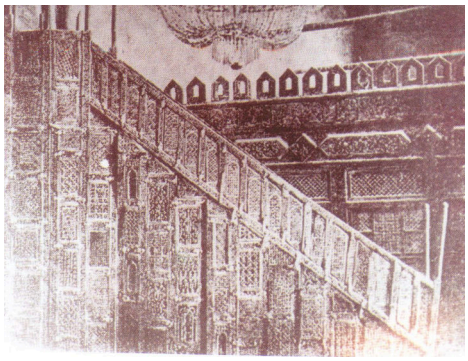

الصورة رقم 04: منبر جامع القيروان

الصورة رقم 05: زخارف قبة محراب جامع القيروان

في سنة 261-290هـ/875-903م قام **أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الأغلب** أو **أبو إسحاق إبراهيم الثاني** بعدة أعمال هو الآخر، حيث زاد في طول البلاطات في ظلة القبلة حيث زاد طول الجامع، كما وضع قبة على بداية البلاط الأوسط (المجاز القاطع) من ناحية الصحن (قبة البهو)، وبذلك أصبح يعلو البلاط الأوسط قبتان، وأصبح أسلوب وضع قبتين على البلاط الأوسط من بيت الصلاة أسلوبا متبعا في مساجد المغرب والأندلس، وأقام المجنبات التي تدور حول الصحن، وزاد عدد أبواب الجامع إلى 10 أبواب.

عمل مقصورة للنساء محددة بحجاب من الخشب في الجهة الشرقية من ظلة القبلة وهذه الزيادة أعطت الجامع الصورة التي بقى عليها حتى الآن . ولكن هناك من ينسبها للخليفة الفاطمي المعز لدين الله

الصورة رقم 06: مجنبات الصحن

الصورة رقم 07: مقصورة النساء

الصورة رقم 08: القبة التي تتقدم المجاز القاطع

*** تخطيط الجامع:**

يشغل المسجد مساحة مستطيلة غير منتظمة القياسات، إذ يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 70.28م والجدار الشمالي الغربي المواجه له 65.60م وعرضه بشكل عام 77م، كما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي 121.80م بينما الجدار الجنوبي الغربي المواجه له 120.5م وطول الجامع عموما 126م، أما طول بيت الصلاة 70م وعرضه 37م ويشتمل هذا الأخير على 17 بلاطة عموديا على جدار القبلة تفصل بينها 16 أسكوبا وتتكون كل واحدة منها من 09 عقود على شكل حدوة فرس مستديرة ترتكز على أعمدة رخامية معظمها من دون قاعدة، وهذه البائكات لا تتصل بجدار القبلة بل تفصلها بائكة موازية لجدار القبلة، ويؤدي إلى المحراب بلاطة مستعرضة عبارة عن مجاز قاطع هي الأكثر اتساعا من غيرها، وبالتالي فبيت الصلاة يشتمل على 414 عمودا رخاميا، وزود الجامع بصحن أوسط واسع طوله 67م وعرضه 56م، وزود الصحن بمجنبات عرض كل منها تقريبا 6م وربع، وتنقسم المجنبة الواحدة إلى رواقين.

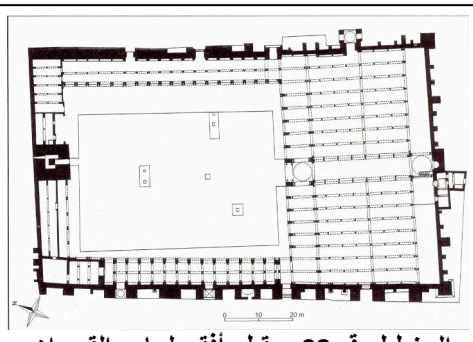

المخطط رقم 02: مقطع أفقي لجامع القيروان

المحراب مجوف ومعقود بعقد حدوة الفرس يستند على عمودين من الرخام الوردي، ويكسو تجويف المحراب بلاطات رخامية في 04 صفوف مزينة بزخارف نباتية، ويعتقد بوجد محراب عقبة خلف هذا المحراب، حيث ينفي كل من جورج مارسي وكريزويل ذلك ويعللان ذلك بأن المحراب المجوف لم يستخدم إلا في عهد الوليد بن عبد الملك وأن ما يوجد من فراغ خلف المحراب الحالي حيلة لإبراز زخارف المحراب المجوفة، ويؤكد أحمد فكري بالدليل على صحة المعلومة.

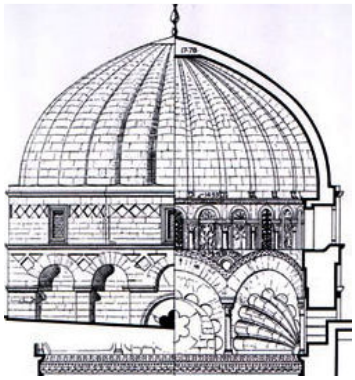
الشكل رقم 02: قبة المحراب

يزين الجدران على جانبي المحراب بلاطات من القشاني ذي البريق المعدني بعضها ذو لون واحد وبعضها متعدد الألوان، مواضيعها زخارف نباتية وهندسية على النمط العراقي، ويغطي المحراب قبة تستند على حنايا ركنية محارية الشكل، ومكونة من 09 فصوص، أما منطقة الانتقال المثمنة تشتمل على 08 نوافذ، والقبة من الخارج مضلعة من 24 مضلعا، وهو تأثير بيزنطي.

تتكون الظلتان الجانبيتان من بائكتين، ويحمل هذه البوائك أعمدة متباينة الطول مما حتم على البناء الاستعانة بكتل حجرية يعلوها طنوف، قاعدة على النحو الشائع في العمارة البيزنطية، ويغطي الجامع سقف خشبي مسطح يتخلله 05 قباب، كما زود الجامع بـ 08 أبواب، 04 منها في الجدار الشرقي أهمها باب "الله رجانا"، وتعلوه قبة عليها نص كتابي تشير إلى السلطان أبي حفص وتاريخ سنة 693هـ/1294م، و 04 أبواب بالجدار الغربي أهمها باب "السلطان" الذي يقابل باب ""الله رجانا" وتغطيه قبة أيضا.

دعمت الجدران الخارجية بدعامات بارزة تكتنف أبواب المسجد، كان الهدف منها التدعيم، كما وجدت مثل هذه التدعيمات في جامع الهواء الذي أنشأته الأميرة "عطف" زوجة السلطان الحفصي أبو يحي زكريا منتصف القرن 7هـ/13م.

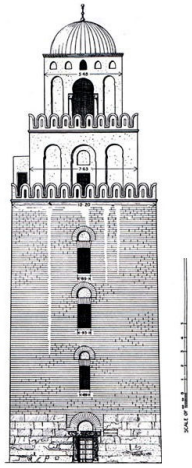
المخطط رقم 03: مخطط واجهة مئذنة جامع القيروان

تتوسط الجدار الشمالي الغربي مئذنة على نفس المحور مع المحراب بارتفاع كلي قدره 31.37م، ويبلغ طول ضلعها من عند القاعدة 10.67م، وكلما ارتفعت تميل الجدران إلى الداخل قليلا لتكسب المئذنة ثباتا أكبر، وبالتالي فطول ضلعها في الأعلى أقل منه عند القاعدة.

ينقسم البدن إلى 03 طوابق، الأول أكثرها ارتفاعا ويبلغ 18.87م، أما الثاني فيبلغ ارتفاعه 05م، بينما الثالث يبلغ ارتفاعه 07.50م، وهذا الطابق يغطيه من أعلى قبة مضلعة شبيهة بالقبة التي تغطي المحراب وقبة البهو.

ينسب الطابق الأول إلى هشام بن عبد الملك 105-109هـ/724-727م، ينما الطابقين الثاني والثالث من عهد زيادة الله بن الأغلب 221هـ/836م، ولكن كريسول ينسب المئذنة كلها لزيادة الله بن الأغلب.

وطراز المآذن المربعة مستمد من مآذن سورية، إلا أنه صار طرازا شائعا في كامل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس مثل صوامع صفاقس، تلمسان، آغادير، الرباط، القرويين بفاس وجامعي قرطبة واشبيلية، كما انتقل هذا الطراز إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها مثل جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ومشهد الجيوشي، والمسجد الملحق بكنيسة سان كاترين.

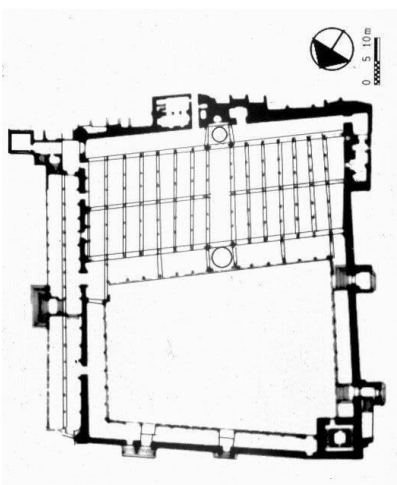
المخطط رقم 04 : مقطع أفقي لجامع

*** جامع الزيتونة بمدينة تونس:**

تعود أصول مسجد الزيتونة الجامع إلى فتح حسان بن النعمان للمدينة عام 79هـ/688م وتأسيسه لأول جامع بها كما سبق وأشرنا، وفي عهد الأغالبة عرف المسجد توسعة جديدة تدل عليها كتابة موجودة على واجهة الأسكوب السابع المطلة على الصحن تعود لهذه الفترة، حيث قام زيادة الله بن الأغلب بمد بوائك العقود بواقع 03 عقود لكل بائكة، ليصبح بيت الصلاة مؤلفا من 07 أساكيب، كما قام بعمل قبة فوق المحراب والبلاط الأوسط لبيت الصلاة، ونشير هنا إلى ذلك النص الكتابي الذي يحلي رقبة القبة يشير إلى بناء القبة عام 250هـ/864م في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله، كما أضافوا المنبر الخشبي الموجود بالجامع.

*** تخطيط الجامع:**

يتميز الجامع بشكل تخطيطه المستطيل عموما ولكن بقياسات غير منتظمة، تحتل بيت الصلاة مساحة معتبرة منه بمقاسات (26x54)م^2، تضم 08 أساكيب موازية لجدار القبلة، تقطعها 15 بلاطة عمودية على جدار القبلة أكبرها وأوسعها البلاطة الوسطى (المجاز القاطع)، وتفصل بين البلاطات 14 بائكة مزودة بعقود من نوع حدوة الفرس المستديرة، حيث كل بائكة تضم 06 عقود، وهي لا تتصل بجدار القبلة مباشرة، ولا تمتد إلى الأسكوب الثامن، ويقوم فوق نهاية البلاطة الوسطى المستعرضة من ناحية المحراب قبة، وقبة ثانية (قبة البهو) عند نهايته من ناحية الصحن.

الصورة رقم 09: قبة البهو

القبة التي فوق المحراب تعود للأغالبة، كما أشرنا وهي محمولة على حنايا ركنية محارية الشكل، كما فتحت في مثمن منطقة الانتقال فتحات نوافذ، أما قبة البهو والتي أضيفت في الفترة الممتدة بين 380-385هـ/990-995م، فإنها مقامة هي الأخرى على مربع يعلوه مثمن، وفتحت في أضلاعه فتحات نوافذ معقودة مزينة بتقنية الأبلق، إلى جانب نوافذ جصية ذات زخارف مخرمة بشكل دقيق وجميل، وترتكز مناطق انتقال القباب على مساحات مربعة محددة بثلاث أعمدة في كل ضلع من أضلاعها، واستحدثت في الجهات الثلاثة من الصحن المتسع 03 ظلات، يحمل كل واحدة منها أسكوب واحد فقط.

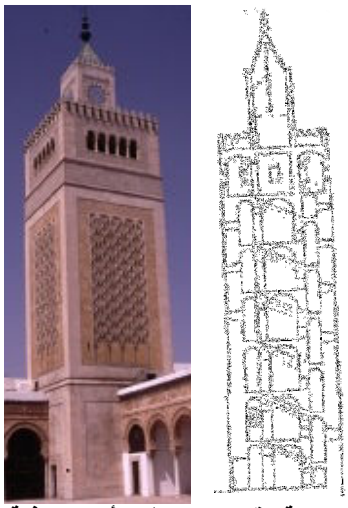
اللوحة رقم 01: مقطع رأسي لمئذنة

المئذنة تجمع بين الطراز المغربي ذو القاعدة المربعة والطراز العثماني ذو القمة المدببة، حيث تتكون المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها بدن ينقسم إلى 03 طوابق متفاوتة في ارتفاعها واتساعها، كما زينت واجهات المئذنة بزخارف معقودة تعلوها زخارف هندسية عبارة عن أشكال مفصصة متتالية

يظهر امتزاج الطرازين جليا على المئذنة من حيث الشكل المعماري، أما بالنسبة لزخارف واجهات المئذنة فهي على الطراز الأندلسي.

يتقدم المئذنة من الناحية الشرقية مصلى للجنائز عبارة عن مساحة مستطيلة محددة بـ 17 عقدا، ترتكز على 16 عمودا، ويوجد على مدخل هذه السقيفة نص كتابي بالخط المغربي حيث يشير إلى الزيادات التي عرفها الجامع منذ العهد الحفصي عام 648هـ/1250م، والتجديدات التي تمت على يد أبو عمرو عثمان سنة 841هـ/1438م، وشملت إعادة بناء السبيل وكذلك الإصلاحات التي تمت سنة 1047هـ/1637م.

يؤدي إلى الجامع 13 بابا، اثنان منها في جدار القبلة أحدهما يؤدي إلى حجرة المنبر، والآخر يؤدي إلى حجرة الخطيب، بينما يوجد في كل من الضلع الشمالي -الغربي، والضلع الجنوبي-الغربي 03 أبواب، وفي الضلع الشمالي-الشرقي 05 أبواب.

*** مسجد بوفتاته:**

شيده الأغلب بن إبراهيم سنة 223-226هـ/838-841م، حسب ما تشير إلى ذلك كتابة موجدة بأعلى واجهة الجدار الشمالي للسقيفة التي تتقدم بيت الصلاة، وهذه الكتابة داخل شريط عرضه 48سم، يحفه شريطان زخرفيان بعرض 18سم.

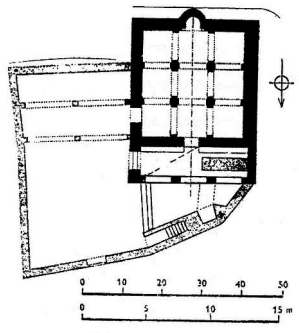

المخطط رقم 06: مقطع أفقي لمسجد بوفتاته

تتميز بيت الصلاة بمخطط مربع الشكل (7.71x7.86)م^2، تنقسم إلى 03 بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها بائكتان، تتكون كل منهما من 03 عقود حدوية عمودية على جدار القبلة، كما تمتد موازية لجدار القبلة بائكتان كل واحدة منهما بها 03 عقود هي الأخرى، وترتكز جميع هذه العقود على 04 دعامات متقاطعة، و08 أكتاف مندمجة بالجدران، ويغطي كل بلاطة من البلاطات المتعامدة على جدار القبلة قبو نصف برميلي مقسم إلى 03 أقسام (تربيعات) بواسطة البوائك الممتدة عرضيا.

الصورة رقم 10: محراب جامع بوفتاته

الصورة رقم 11: مسجد بوفتاته والمئذنة

يتوسط المحراب جدار القبلة، والمحراب معقود بعقد حدوة الفرس مستدير، يرتكز على أعمدة مندمجة بالجدار.

يتقدم بيت الصلاة سقيفة من 03 عقود، محمولة على دعامات مقطعها مستطيل، مفتوحة على الفناء الذي يتقدم بيت الصلاة من الناحية الشمالية والشرقية، وتوجد في الجهة الغربية من السقيفة دعامة سميكة يرتكز عليها القبو الذي يغطي السقيفة، وكذلك كدعامة للصومعة، التي ترتكز فوق هذا الجزء، والتي بنيت في وقت لاحق بعد تأسيس المسجد.

أضيفت كذلك في وقت لاحق بائكتين بالجهة الشرقية لبيت الصلاة تشكلان أسكوبين موازيين لجدار القبلة وبعد تلك الإضافة فتح باب بالجدار الشرقي لبيت الصلاة يؤدي إلى هذه الإضافة، وبالتالي أصبح لبيت الصلاة بابان.

ما يميز هذا المسجد عن غيره أنه يعد من بين الأمثلة المبكرة لاستخدام الأقبية في العمارة الإسلامية، كما أنه كان بمثابة مرجعية معمارية لعديد المساجد مثل الجامع الكبير بسوسة باعتماده طريقة ارتكاز العقود على دعائم متقاطعة، وتغطية بيت الصلاة بالأقبية نصف برميلية فهو الأول في شمال إفريقيا باستخدام هذه الطريقة.

يعد المسجد إلى جانب ما سبق ذكره أول مسجد في شمال إفريقيا يعتمد على سقيفة تتقدم بيت الصلاة، وهو أسلوب انتقل إلى العمارة الفاطمية بمصر في عدد من العمائر مثل مشهد السيدة رقية، وجامع الصالح طلائع بن رزيق بالقاهرة.

كما يعد نموذج مبكر لتلك العمائر التي تشتمل على زخارف كتابية تشكل عنصرا كتابيا وزخرفيا متكاملا كما هو الحال في الشريط الكتابي بقبة الصخرة.

*** جامع سوسة الكبير:**

يقع في الركن الشمالي لمدينة سوسة بالقرب من باب البحر، وتشير الكتابة الممتدة أعلى العقود حول جوانب الصحن الثلاثة، وتستمر في الرواق المضاف في الجانب الجنوبي إلى الأمير محمد بن الأغلب الملقب بأبي العباس، وتاريخ سنة 236هـ/850م.

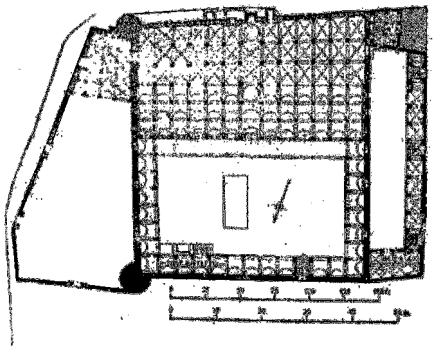
المخطط رقم 07: مخطط الجامع الكبير بسوسة

شكل مخطط المسجد مستطيل بمساحة (49.39x57.16)م^2، يتوسطه صحن مستطيل مساحته (22.25x41) م^2 تحيط به 04 ظلات من عقود على شكل حدوة فرس مستديرة، ترتكز على دعامات على شكل حرف **T**، ويبلغ عدد العقود في الجهتين الشمالية والجنوبية 13 عقدا، بينما يبلغ عددها في الجهة الغربية والشرقية 06 عقود، وتتكون ظلة القبلة من 13 بلاطة عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها 12 بائكة، كل واحدة منها لها 06 عقود، كما تمتد 06 بائكات عرضيا موازية لجدار القبلة، مما جعل العقود المتعامدة والموازية ترتكز على دعامات على شكل متقاطع.

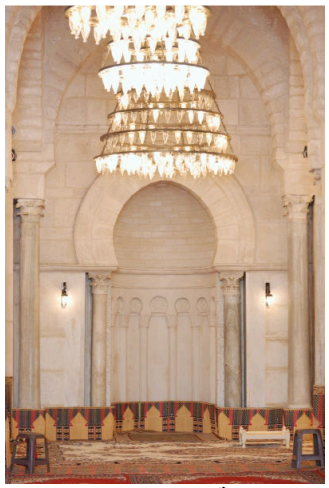
الصورة رقم 12: محراب المسجد

يتوسط المحراب جدار القبلة، وتزخرفه كتابة منفذة بالخط الكوفي على الطراز الفاطمي، مما يدل على أن هذا الجزء قد أضيف في وقت لاحق، ويظهر ذلك أيضا في طريقة تغطية الأروقة الثلاثة الأولى الموازية لجدار القبلة، إذ نجدها مغطاة بأقبية متقاطعة، بينما الأساكيب الثلاثة الأخرى من ظلة القبلة من ناحية الصحن مغطاة بأقبية نصف برميلية مثل بقية الظلات الثلاثة الأخرى، كما أن الأقبية المتقاطعة أكثر ارتفاعا من الأقبية نصف البرميلية التي تغطي النصف الثاني من ظلة القبلة، في حين يغطي مربعة المحراب والمربعة الرابعة في البلاطة المستعرضة الوسطى (المجاز القاطع) من اتجاه القبلة قبة، ومن المرجح أن هذه

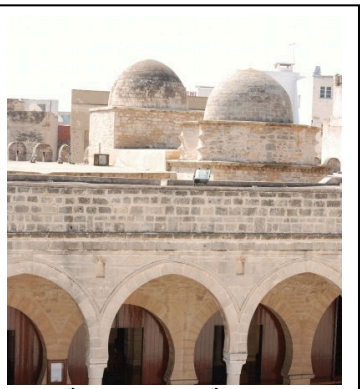
الصورة رقم 13: توضح قباب بيت الصلاة

القبة كانت تغطي مربعة المحراب الأصلي.

وإلى يمين المحراب توجد فتحة باب يؤدي إلى غرفة يوضع بها منبر متحرك على عجلات حسب الأسلوب المغرب، والذي يوجد له مماثلا في جامع الزيتونة والجامع الكبير بالجزائر العاصمة (490هـ/1082م).

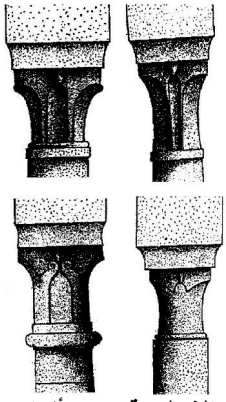

الشكل رقم 03: أنواع التيجان الموجودة بالجامع

يتقدم بيت الصلاة رواق أضيف سنة 1086هـ/1675م ونلاحظ الاختلاف بينها وبين الأساكيب والبلاطات الأخرى بالجامع، حيث ترتكز عقودها على أعمدة بدل دعامات والأعمدة لها تيجان من النوع الحفصي، أما باقي الظلات التي تحيط بالصحن فمغطاة بسقف مائل قليلا لتصريف مياه الأمطار إلى الصهريج الموجود بالصحن.

نجد المئذنة تحتل الركن الشمالي-الشرقي للمسجد وهي برج كبير عبارة عن بدن مستدير، يعلوه مثمن يتوجه قبة نصف كروية، ويدخل إليها من خلال درجين فوق سطح الظلة الشمالي والظلة الشرقي، ويوجد برج شبيه بهذا البرج بالركن الجنوبي الشرقي، وهذا يطابق الأبراج التي كانت موجدة في الركن الجنوبي-الغربي، والركن الشمالي-الشرقي من جامع الزيتونة قبل أن يتم دمجهما في الجدران.

أضيفت للمسجد إضافتنا إحداهما في الناحية الغربية، والأخرى في الناحية الشرقية، وتتكون الزيادة الغربية من فناء مستطيل، يحده من الغرب سقيفة، مغطاة بأقبية متقاطعة ترتكز على دعائم، وفي الشمال والجنوب من هذه الزيادة توجد دورة المياه، تغطيها أقبية متقاطعة، ويفتح في هذه الزيادة 03 مداخل تؤدي للرواق الغربي للجامع، أما الزيادة الشرقية فغير منتظمة الأبعاد، ويوجد في الجنوب-الشرقي منها 05 أساكيب، وبعد هذه الإضافات أصبح الجامع متعدد الأضلاع، ويبلغ متوسط امتداده من الشرق إلى الغرب 90م، ومن الشمال إلى الجنوب 60م.